حكاية وقصيدة:

صدر عن دار النهار كتاب «حكاية ماتيل» للصحافية والروائية السيدة مي ضاهر يعقوب، وللمناسبة اقيم حفل توقيع في غرفة التجارة والصناعة والزراعة في البقاع. وكانت الصحافة ممثلة بعقيلة الاستاذ غسان تويني عن مؤسسة النهار والاستاذ جان بخاش عن جريدة زحلة الفتاة والاستاذ انطوان زرزور عن جريدة الرواي والاستاذ ايلي ابو طعان والمديرة العامة للجريدة الآنسة نيكول صدقة ونخبة من رجال الفكر والادب ومن اصدقاء الاب اميل ومحبيه. اعتلى المنبر عريف الحفل الاستاذ يوسف جبران ثمّ تلاه الشاعر جورج كفوري ثم الاستاذ انطوان الاشقر ثم قصيدة الشاعر قسيس ثم كلمة المربية والادبية امل ايوب فريجي وفي الختام كلمة المؤلف.

بقلم الشاعر ريمون قسيس

يـــا لها مـن حـكـايـةِ ماتيـلُ
مِيُّ! ماذا أرى؟ وماذا أقـــــولُ؟
كيفَ تُنـسى؟ وأنتِ فيها حنيـنٌ
أين جـوزيف أيـن بكر هـواها؟
لا تسلّها، فالحـبُّ يقـوى عليها
هـي بانـت في لهفةٍ وانتظـارٍ
يـا لذكرى! وبُطرسٌ ليس ينسى
تلك فكتوريـا وتـلك أديـت
وخـليجٌ يئـنُّ فـي جُنح ليـلٍ
ذي متيـلٌ، وقـد عراها اكتئابٌ
يـا لحـبٍّ! والأشرفيّـةُ فـيه
هي غوسطـا، وعُنوةَ قد دهـاها
هَبَ جـورحٌ، ورفضه دون جدوى
تمّ عرسٌ، بيروت قـلٌ في حداد
يـوسفٌ إليـاسٌ وأيضًا سليمٌ
هـي حيفا، وهجـرةٌ مـن جديد
مرّ عـامٌ على الزواج ودمعٌ
وبكـاهـا في الأشرفيّة أهـلٌ
هي فيها تأمّـلتِ لـم يفدهـا
مـا أحيْلاها مأملاً لأمين
زارهـا أمس عاشقًا والقـوافي
ايـن هذا؟ واحسرتـاهُ! متـيلٌ
ووداعٌ فـي مرفـأ وبكاءٌ
خلف بـحر امـواجه ليس تهدا
يا لَعـام! يطـويه عامٌ ويمضي
يا لـريو نغـرو ! رسائل تـترى
وركاردو آتٍ وألبـرتُ أيـضًا
ثم مـاريّا أنجبت، أيُّ أمـر
بين دمـع وبسمةٍ، بين حـزنٍ
بين مـاضٍ وحاضـرٍ ربَّ قولٍ
يشتكي مـن ظلّم تمادى وعسفٍ
هي دنيـا مملوءةٌ بصعـابٍ
كلّما شاقهـا المرادُ لـجَّ
فهي طـولَ الحياة هـمٌّ وغمٌّ
تتجلى وفـي الليالي عويلٌ
يـا زمانَ الشقاءِ لولاكَ ماذا؟
فأتينا ومـاركيسٌ وشامٌ
كلّهـا في شقاوة الحـبِّ تمسي
مـا لِمايكَ وظلمِـه من شبيه!
فكساها من ذلّ ما كساهـا
ثوبَ ذلٍّ كـم يكتسي بخـنوع
ساءَ وضـعٌ وعمَّ فيـه شجارٌ
هـو أنطونيو والدمـاءُ تسيلُ
وأخيرًا ، قضيـانُ سجنٍ أوته
حيّةٌ حول العنـق ولّت، سوادٌ
حُرّرتْ منهـا من سوادٍ مميتٍ
مـن كذابٍ، من شرةٍ، من خداع
حُرّرت مـن ضلالةٍ اتّعبتها
حيث لا كـاهنٌ يفيـدُ ويهدي
والـى الأرجنتين هبّت شعـوب
كان منـها محمّـدٌ راحَ يسعى
فاقـتنى متـجرًا ليبع قمـاش
واستمـرّت ما تيـل تعمـلُ فيه
كان حـبٌّ، وكان زوجٌ وفـيٌّ
هي تحيـا بحبّهـا من جديدٍ
وصلتْ بينـه وبين فـؤادٍ
أسعدتْـه، ويا لسعـدٍ تبدّى!
ومـريّا، وكارلس، وتماسٌ
بطرسٌ يروي باشتيـاق ولهْـفٍ
ذُبلَ اليـأسُ من حيـاةٍ متيـلٍ
لا تحاسبْ أخـا هوىً في هواهُ

قـد أحبّت وقلبهـا متبولُ
ليس تُنسى حـوادثٌ وفصولُ
ومـتـيلٌ هي الهدى والسبيلُ
كيف تبـدو؟ تراه حـبٌّ جميلُ!
بـل فدعْهُ واسمعْه ماذا يقولُ:
لا تبـالي إنْ شاعَ قالٌ وقيلُ
سوف يرويهـا، بعدُ، جيلٌ فجيلُ
تلك غوسطـا ومايكلُ المخبولُ
هـو خطْفٌ، في الرأسِ فكرٌ يجولُ
سهرٌ مُضـنٍ حيرةٌ وذُهولُ
تتبدى كأنـها المـأمولُ
مـا دهاها، وأمـرُها لا يزولُ
بطريَرْكٌ فـي سعيه مخذولُ
حيّـةٌ ذي سوداءُ أم إكليلُ؟
إخـوةٌ هَمْ، وغضبةٌ قد تطولُ
واليـها قد غـادرَ المسؤولُ
في انسكـابٍ وصُـفرةٌ ونُحولُ
وقـلوبٌ تحطّمت وعقـولُ
في هـواها التأجيلُ والتأميلُ
شفـةٌ ثملى واللعابُ يسيلُ(١)
ينتشّاهـا الضمُّ والتقـبيلُ
ليس حـبٌّ يبـقى وليس متيلُ
هـكذا يبدو في مداهُ الرحيلُ
الأرزُ يـبكي كذا الربى والسهولُ
آخرُ والعـذابُ ذاك طـويلُ
وعسى فيها يجـتلي المجْهولُ
ومتيـلٌ يقضّها التهويلُ
يتبدّى ويمّحـي التنكيلُ
مستديـم ومزحةٍ تبديلُ
ليس فـيه سوى فؤادٍ يقولُ
فـيه نفسٌ مقيتـةٌ لا تحولُ
وكثيرُ الصعـاب فيها قليلُ
فيه صفـوٌ وليس فيه نُكولُ
ليس إلّا، وقاتـلٌ وقتيلُ
وبُكاءٌ، يبـكي كذا جـبريلُ
هل شفـيعٌ لِحبّهـا ورسولُ؟
واليه دِيـارُ بكر تـؤولُ
هي ثـكـلى، وفكرها مشغولُ
وزمـانٍ ترى لـديه بديلُ!
في قمـار، فهو الخسيس الذليلُ
وخضـوع وجسمـهُ مكـبولُ
وبلاءُ الشجـار شـرٌّ وبيلُ
وصـراخٌ بمنـزلٍ وعويلُ
ذاكِ مايـكٌ، ولم يدُمْ مستحيلُ
بعدُ لن يبـقى لن يظـنّ خبولُ
كلُّ حيٍّ بحيّـةٍ مغلـولُ
من ظنونٍ يسوسهـا التخييلُ
يا لهـدى! يمضّه التضليلُ
لسـلام في بيعـةٍ ترتيلُ
هـاجرت إنّ هجرها لكفيلُ
بين كدٍّ وطول جدٍّ يـصولُ
كان فـيه رزقٌ ومـالٌ جزيلُ
كـلُّ شـأنٍ وأمرُهُ محلولُ
طـابَ فيه القرآن والإنجيلُ
مع عبدو، فهـو المحبُّ الأصيلُ
هـو منها، وزالَ عِبءٌ ثقيلُ
فيه جاهٌ بأحمـدٍ موصـولُ
في انضمـام، ويجملُ التحليلُ
هـفَّ أرزٌ لسمعـه والنيلُ
أنعشتْ روحها وولّى ذبـولُ
كلُّ ثغرٍ على الهـوى معسولُ»(٢)

١- أمين نخلة القائل: « في الأشرفيّة يومَ جئتِ وجئتُها/ نفسي على شفتيكِ قد جَمّعتُها.
٢- هذا البيت مستلٌّ من قصيدةٍ لبدوي الجبل.

شلال الجمال

.....بقلم الشاعر ادوار رياشي

من ضوعةِ المسكِ أَم من مَيْدةِ القصبِ ... قـــوامكِ الريحُ بل موجٌ من السحبِ
يختـــالُ بين مروج الخصبِ تحملهُ ... لظى العيـــون على نهر من الذهبِ
تسيـلُ منه خمـــورُ الحب ساكبةً ... على الوجود نجـــاوى الشوق واللهبِ
أضاءَ نورُكِ في قلبي وفي قـلمي ... كما أضـــأتِ شموعَ الشعر والأدبِ
قرأتُ فيكِ اساطيـرًا، بـــكِ اكتملتْ ... ملاحمُ الوجدِ فـــي وهّاجةِ الحِقبِ
جـمالكِ النورُ، شلالُ الضياءِ رنـــا ... علـى الليالي، فطافَ النورُ في القببِ
لواعـــجُ الشوق اسرارٌ بـــكِ استترتْ ... ومن نسيم هـــــواكِ العودُ للنسبِ
قـد نلتِ منّي الهوى كأسًا وانْ سُكبتْ ... في راحتيـــــكِ تندى الخمرُ بالحِببِ
وجـــذوتي احترقت في معبدٍ نهمٍ ... في نـــاره الحبُ يعلولي على الشُهُبِ
تفتّقَ المســـكُ في شريان كرمتنا ... لما سكـــبتِ بروحي نشوة العنبِ
شميمُ عطركِ في زهـــر الجمال حلا ... والقـــلبُ نشوانُ في بوحٍ وفي طربِ
تراقصين خيالَ الشعـــر في شغفٍ ... وتألقـين صبي في المشتهى الخصبِ
حمـــلتِ نارك في قلبي فاحرقني ... نارُ الجمـــال ونارُ السحرِ والعجبِ
سهمٌ أصابَ فـــؤادي في غـــلالته ... والـــقلبُ يُمطر عِشقًا حلّ في الهُدُبِ

عودٌ على بدء

تتزامن الاخبار حاملة معها باقة أزهارْ
فراجي عشقوتي- يقول ريمون قسيس- ودّع منذ ستة وعشرين عامًا نعمة قازان، يوسف الخال وشارل مالك قائلاً: « وداعًا أيتها الحقيقة». وها هو يضع بين أيدي القراء ما نشرته جريدة الانوار في صفحتها الثقافية يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٨٧.يتزامن شهر حزيران ماضيًا وحاضرًا ليبثّ لنا من جديد ما بثّه من قديم ولكي لا يضيع الزمن ويبحث عنه كما بحث عنه مارسيل بروست.

ثلاثة انوجعت لهم: نعمة قازان، يوسف الخال، وشارل مالك واكثر ما لفتني في الثلاثة عيونهم! كيف تتسع هذه العيون وتشيح! يتفتت فيها الحنان، يتوزّع، يضيع، يضحك، يبكي... تبتعد فيها ظلال عنا، وكأنها بدأت تحل في وطن آخر. غرابة العيون! اخاف منها، واستأنس بها. تقول في حزنها: آن اوان الرحيل. وتقول في فرحها انا لست من هذه الأرض.
الثلاثة رغم العنفوان، بكوا. ويقطف قلبي الدمعة يحللها ويغيم في الالغاز والاسرار.
فهذا قازان الي الرماد وكان جمرة الثورة! والخال ينوص ينوص، وكان منارة! ومالك الكلمة والحكمة تسترخي اصابعه، وتسقط قبضة يديه.
خليل مطران قرأ مساءه في دمعة الشمس، وقرأت مساء كل انسان في دمعة قلبي. الدمعة المقطوفة من بساتين هؤلاء الكبار، وكل في سريره، وعينه على لبنان المخلّع متى يشفى؟! يحمل سريره ويمشي.
- قازان سألني وهو ينازع في الريو ديجانيرو: «شو عملتو بلبنان؟ ذبحتوه؟
- ويوسف الخال يتقلب، في جونيه على جرحه، صليبه كبير، ولا يهمه، يمد كتفيه ليحمل مع لبنان صليبه الاكبر.
- وشارل مالك ترك لابتسامته المشغولة بمجد السماء.. تركها تحكي عنه، وهو يتسلم جائزة كمال المر، وكأنها قالت: عليك السلام يا لبنان.
كنا من الشبابيك ننظر اليه وتمتد الاعناق وفدًا تلو وفد وابرز ما في وجهه عيناه، وكآبة غصت داره القصر ولا صوت لشارل مالك، هذه المرة. وتهنا كلنا عنه الى مؤلفاته، ومآثره ووقفاته. وانشغلنا بمجد له هدّار لم يكن الاستاذ فيه، كان المعلم. في الامم المتحدة كان شرعة الإنسان كتب جعل لبنان يتنقل على اصابع دلال وتيه وبقيت رسالته في عقله وفي قلبه، احبته الكنيسة، والتاريخ، والثورة، والفلسفة.. لم يتزعزع ايمانه كان في يده سوط واقتحم الكثير من «الهياكل»ننظر اليه من النوافذ ، وتندافع للتبرك منه، وهذا الماضي كله فينا وكم تصغر الدنيا امام عبقري!
زحفت اليه وسائل الإعلام تسأله كلمة ورأيًا. فصمت، ثم شكر ولا موقف.
حكى كثيرًا، وعرف ان الصمت اجدى، ترك للشحوب ان يحكي، وللنظرات التائهة في غياهب المصير.
واقتنعنا ان لا حاجة من التملي منه نظرًا وقراءة وجهه، ففي البال عنه صفحات، ومواقف، ليس احترام العباقرة في رياد بيوتهم والتجهم. انما في العمل على تحقيق الصواب، والمراد، - هل نحن في جبهة واحدة نحرر الارض ونستقل؟ - هل تركنا للمعرفة تدلنا على الحقائق نعمق بها التراث ونوسع؟
- هل آفاقنا لبنانية ، حقًا تحب ولا تنكمش تمتد ولا تتعصب؟ - هل نحن في الثورة تهدم الاقطاع ظلامًا وتبني الإنسان بالنور؟
طرحت على نفسي هذه الاسئلة وخجلت صليت الابانا والسلام ورجعت مستغفرًا شارل مالك . لقد كتب لنا وصايا وجتناه نكرمه بشفهانا، لا بقلوبنا أهملنا وصاياه وأهملنا هو، ولم يحك. وداعًا ايتها «الحقيقة» كم تُرتكب جرائم باسمك؟!